وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقرّبتُ من جذع طويلٍ ممنّعِ
إلى الله أشكو غربتي، ثم كربتي ... وما أرصد[1] الأحزاب[2] لي عند مصرعي
فذا العرش صَبِّرْني على ما يرادُ بي ... فقد بَضّعُوا[3] لحمي وقَدْ بان[4] مطمعي
وذلك في ذات الإله، وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ مُمَزَّعِ
لعمريَ ما أحفل[5] إذا متُّ مُسلماً ... على أيّ حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي (٦/ ٢٠٠): رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، انتهى. وقد ذكر الأبيات ابن إسحاق، كما في البداية (٤/ ٦٧)، فزاد بعد البيت الأول:

وكلهم مبدي العداوة جاهد ... عليَّ لأني في وثاقي بمضيَعِ

وزاد بعد البيت الخامس:

وقد خيّروني الكفرَ والموت دونه ... وقد هَمَلت[6] عيناي من غير مجزع[7]
وما بي حذار الموت، إني لميّتٌ ... ولكن حذاري جحم نار مُلفّعِ[8]
فوالله ما أرجو[9] إذا متُّ مسلماً ... على أيّ جنب كان في الله مضجعي
فلستُ بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً[10] ... ولا جزعاً، إني إلى الله مرجعي

يوم بئر معونة

قصة أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم

أخرج ابن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن وعبد الله[11] بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: **قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِب الأسنّة على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه؛ فلم يُسلم ولم يبعد (من الإسلام) وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فَدَعَوْهُم**

(١) أرصد: أعدُّ.
(٢) وعند ابن إسحاق: الأعداء.
(٣) بضّعوا: قطعوا.
(٤) وعند ابن إسحاق: «ياس».
(٥) ما أحفل: ما أبالي.
(٦) همّلت: سالت.
(٧) مجزع: خوف وحزن.
(٨) ملفّع: محيط.
(٩) أرجو: أخاف.
(١٠) تخشّعاً: تذلّلاً.
(١١) في الأصل «عبد الرحمن» والتصويب من «ابن هشام» وكذلك سائر المحصور بين المزدوجين.

إلى أمرك رجوتُ أنْ يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي أَخشَى عَلَيهِمْ أَهلَ نَجْدٍ». فقال أبو براء: أنا لهم جارٌ. (فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك).

فبعث رسولُ الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعنق ليموت[1] ـ في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين: الحارث بن الصمّة، وحرام بن ملحان أخو بني عديّ ابن النجار، وعروَة بن أسماء بن الصلت السُلمي، ونافع بن بديل بن وَرْقاء الخزاعي، وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ في رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ـ وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ـ. فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل. فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبَوْا أن يجيبوه إلى ما دعاهم (إليه) وقالوا: لن نَخفِرَ أبا براء[2] وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم: عُصَيَّة وَرِعْلاً وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غَشُوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم. فلما رأوهم أخذوا أسيافهم. ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم يرحمهم الله إلا كعب بن زيد أخا بني دينار ابن النجار، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ[3] فارتَثَّ[4] من بين القتلى، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

وكان في سرح القوم[5] عمرو بن أمية الضمريّ ورجلٌ من الأنصار من بني عمرو بن عوف، فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تَحُومُ[6] على المعسكر، فقالا: والله إنّ لهذا الطيرِ لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاريّ لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاريّ: لكنّي لم أكنْ لأرْغَبَ بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال، فقاتل القوم حتى قتل، وأخذوا عَمْراً أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزَّ ناصيته[7]، وأعتقه عن رقبة كانت على أمّه فيما زعم. كذا في

(١) المعنق ليموت: هذا لقب «المنذر بن عمرو» و «المعنق: المسرع.
(٢) «لن نخفر أبا براء»: لن ننقض أمانه.
(٣) الرمق: بقية الروح وآخر النفس.
(٤) الارتثاث: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح.
(٥) سرح القوم: ماشيتهم.
(٦) تحوم: تدور حول العسكر.
(٧) جزّ: قطع

البداية (٤/ ٧٣). وأخرجه الطبراني أيضاً من طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي (٦/ ١٢٩) ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق، انتهى.

قول حَرَام عند القتل وإسلام قاتله على قوله

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ النبيّ ﷺ بعثَ حراماً ـ أخاً لأم سليم ـ في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل، خير رسولَ الله ﷺ بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف، فطعن[1] عامر في بيت أم فلان. فقال: غُدّة كغدّة البَكْر[2]، في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه فانطلق حرامٌ أخو أم سليم ـ وهو رجلٌ أعْرَجُ ورجلٌ من بني فلان، وقال: كونا قريباً حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريباً، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم فقال: أتؤمّنونني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم، وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه. قال همام: أحسبه حتى أنفذه بالرمح. فقال: الله أكبر، فُزْتُ وربّ الكعبة! فلحقَ الرجل، فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل، فأنزل الله تعالى علينا ثم كان من المنسوخ: «إنا لقد لَقِينا رَبّنا فَرَضِيَ عنّا وَأَرْضانا». فدعا النبيّ ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْل، وَذَكْوان، وبني لِحْيان وَعُصَيّة الذين عَصَوْا اللّه ورسوله. وعند البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ، يوم «بئر معونة» قال بالدّم[3] هكذا فنضحه على وجهه ورأسه، ثمّ قال: فزتُ وربّ الكعبة. وعند الواقدي أنّ الذي قتله جبّار بن سلمى الكلابيّ. قال ولما طعنه بالرمح قال: فُزْتُ وَرَبّ الكعبة! ثم سأل جبار بعد ذلك ما معنى قوله: «فُزْتُ»؟ قالوا: يعني بالجنة. فقال: صَدَقَ واللّهِ؛ ثم أسْلَمَ جبّار بعد ذلك لذلك[4] كذا في البداية (٤/ ٧١).

يوم مؤتة

بكاء ابن رواحة عند الخروج وأبياته في سؤال الشهادة

أخرج ابن إسحاق عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زَيْدَ بنَ حارثة، وقال: «إنْ

---

(١) طُعن: أصابه مرض الطاعون فهو مطعون.

(٢) غدّة البكر: طاعون الإبل.

(٣) قال بالدم: أي أخذ دمه فنضحه على وجهه ورأسه.

(٤) أي أسلم جبّار بسبب رؤيته شجاعة حرام وقوّة يقينه على الآخرة وحبّه للشهادة في سبيل الله.